

وَقْتُ لِلثِّقَةِ

المحاضرة ٦: الثِّقَةُ فِي الرَّجَاءِ

ستيفن نيكيلس

لا أَعْلَمُ مَا إِذَا سَبَقَ لَكُمْ أَنْ سَمِعْتُمْ مَقْطُوعَةَ أَدَا جِيُو (*Adagios*) لِأَلْبِينُونِي (*Albanini*). إِنَّهَا مَقْطُوعَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ وَصَلَتْ إِلَيْنَا فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، لَكِنَّ مُؤَلِّفَهَا أَلْبِينُونِي تُوفِّي قَبْلَ عِدَّةِ قُرُونٍ. كَانَ قَدْ عَتَرَ عَلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ الْمُسِيقِي رِيمُو جِيَارُوتُو. وَرَعَمَ أَنَّهُ اكْتَشَفَ مَقْطُوعَةَ أَدَا جِيُو وَسَطَ أَنْقَاضِ مَدِينَةِ دَرِيْسِدِنَ عَقِبَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ. يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ عَظِيمَةٍ. وَيَا لَهَا مِنْ مَقْطُوعَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ بَدِيعَةٍ. إِبْدَاعٌ مُطْلَقٌ تَنْفَرِدُ بِهِ مَقْطُوعَةُ أَدَا جِيُو لِأَلْبِينُونِي. وَيَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ أَمَلٍ عَظِيمَةٍ الْعُثُورُ عَلَى شَيْءٍ جَمِيلٍ بَيْنَ الْأَنْقَاضِ عَقِبَ دَمَارِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ. وَقَدْ حَاوَلَ مُؤَرِّخُونَ مُوسِيقِيُونَ التَّحْقُقَ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، لَكِنَّهُمْ بِبَسَاطَةٍ لَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ. فَعَلَى الْأَرْجَحِ أَنَّ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ الْمُسِيقِيَّةَ مِنْ تَأْلِيفِ رِيمُو نَفْسِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَزَالُ اسْمُ الْمُؤَلِّفِ مُلْتَصِّقًا بِهَا. لَا يَزَالُ أَلْبِينُونِي اسْمَ مُؤَلِّفِ مَقْطُوعَةِ أَدَا جِيُو. تَنْشَعِلُ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةَ بِالرَّغْبَةِ فِي الْعُثُورِ عَلَى الرَّجَاءِ، إِذْ تَرَعَّبُ بِطَرِيقَةٍ مَا فِي اسْتِخْرَاجِ الرَّجَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَنْقَاضِ حَتَّى وَإِنْ تَحْتَمَّ ابْتِدَاعُ هَذَا الرَّجَاءِ.

حَسَنًا، حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنِ ثِقَتِنَا فِي الرَّجَاءِ، نَحْنُ لَا نَتَحَدَّثُ عَنْ شَيْءٍ عَلَيْنَا ابْتِدَاعُهُ أَوْ شَيْءٍ عَلَيْنَا اخْتِرَاعُهُ. بَلْ نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ يَقِينٍ قَائِمٍ. فِي مُحَاضَرَتِنَا الْأَخِيرَةِ، أَثْنَاءَ مُحَاوَلَتِنَا إِدْرَاكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي نَحْيَا فِيهَا وَكَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَهَا، أَرَعَبُ فِي التَّحَدُّثِ مَعًا عَنِ الرَّجَاءِ. فَأَرِيدُ أَنْ نَبْدَأَ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنَ الرَّسَالَةِ الْأُولَى لِيُوحِنَا الرَّسُولُ. يُوضِّحُ لَنَا هَذَا النَّصُّ -سَتَتَمَعُنُ مَعًا فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْأُولَى- يُوضِّحُ لَنَا هَذَا النَّصُّ مَا يَقْصِدُهُ اللَّاهُوتِيُّونَ أَحْيَانًا بِـ "غِبْطَةِ رُؤْيَةِ اللَّهِ وَمَعْرِفَتِهِ" (*beatific vision*). فِي الْوَاقِعِ، إِنَّهُ أَحَدُ التُّصُوصِ الْمَفْضَلَةِ لِلدُّكْتُورِ سَبْرُولِ وَالَّذِي افْتَبَسَ مِنْهُ كَلِمَاتٍ إِحْدَى تَرَائِمِ الْبُومِ "مَجْدًا لِلْقُدُّوسِ" (*Glory to the Holy One*) وَهِيَ تَرْنِيمَةُ الرَّابِيَّةِ (*Highland*) وَالْمُسْتَوْحَاةُ مِنْ مَفْهُومِ غِبْطَةِ رُؤْيَةِ اللَّهِ وَمَعْرِفَتِهِ. نَعُودُ لِلنَّصِّ ذَاتِهِ، فَتَنْقَرُ مِنَ الْآيَةِ ١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣ مِنْ رِسَالَةِ يُوْحِنَّا الْأُولَى:

أَنْظُرُوا آيَةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ. أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ.

أَتَرُونَ كَيْفَ بَدَأَ يُوْحِنَّا هَذَا؟ لَا يَسْتَطِيعُ حَتَّى تَقْدِيمِ وَصْفٍ شَامِلٍ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ. كُلُّ مَا أَمَكَّنَهُ قَوْلُهُ: "أَنْظُرُوا آيَةَ مَحَبَّةٍ"، أَيُّ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لَنَا، الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى إِرْسَالِ ابْنِهِ مِنْ أَجْلِنَا، عَظِيمَةً لِلْعَايَةِ حَتَّى إِنَّ يُوْحِنَّا لَا يَسْتَطِيعُ وَصْفَهَا كَامِلَةً فَيَلْمَحُ إِلَيْهَا فَحَسْبُ. فَهِيَ عَمَلٌ يَفُوقُ الْوَصْفَ. وَهِيَ صَنِيعٌ يَسْمُو عَنِ التَّوْضِيحِ. لَكِنَّنَا نَنْعَمُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا. فَفِيمَا

تَمَثَّلُ مَحَبَّةُ الْآبِ؟ تَمَثَّلُ فِي كَوْنِنَا أَوْلَادَ اللَّهِ. فِي الْوَاقِعِ، وَمِنْ نَوَاحِ عِدَّةٍ، تُعَدُّ هَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ دِرَاسَةً نَوْعًا مَا عَلَى فِعْلِ الْكَيْنُونَةِ. سَتَجِدُونَ فِعْلَ الْكَيْنُونَةِ فِي الْمَاضِي، التَّصْرِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَخْدِمُهُ هَذَا التَّصُّ مَبَاشَرَةً كَثِيرًا، لَكِنْ نَسْتَنْتِجُهُ مِنَ السِّيَاقِ. فِيهِ فِعْلُ الْكَيْنُونَةِ فِي الْمَاضِي. وَفِعْلُ الْكَيْنُونَةِ فِي الْحَاضِرِ. وَفِعْلُ الْكَيْنُونَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. فَمَاذَا كُنَّا؟ كُنَّا أَوْلَادَ الْعُضْبِ. هَكَذَا يَصِفُنَا بُولُسُ إِنْ عُدْنَا إِلَى الْأَصْحَاحِ الثَّانِي مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى أَفَسُسَ. فَهَذَا يُخَالِفُ نَظَرَتَنَا التَّلَقُّائِيَّةَ الْمُفْضَلَةَ لِأَنفُسِنَا كَبَشَرٍ. إِذْ نُفَضِّلُ التَّرْكِيزَ عَلَى جَانِبِ الْكِرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَنَا كَبَشَرٍ، لَا عَلَى جَانِبِ فَسَادِ الْبَشَرِيَّةِ الْكَامِلِ. لَكِنَّنَا-وَاقِعًا وَحَقًّا- كُنَّا أَوْلَادَ الْعُضْبِ. كُنَّا تَحْتَ عَضْبِ اللَّهِ. هَذَا مَا كُنَّا عَلَيْهِ. وَفِي مِلءِ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ لِيَمُوتَ مِنْ أَجْلِنَا. وَمَعَ أَنَّنَا كُنَّا لَا نَزَالُ أَعْدَاءَهُ، وَتَحْتَ عَضْبِهِ، مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا.

فَكُنَّا أَوْلَادَ الْعُضْبِ، لَكِنَّنَا الْآنَ أَوْلَادُ اللَّهِ. وَلَمْ نَعُدْ أَجْنَبِيِّينَ عَنْهُ. لَقَدْ صُوِّلْنَا مَعَهُ، وَجُلِبْنَا إِلَيْهِ. فَهَذَا مَنْ نَحْنُ. فَيَا لَهُ مِنْ أَمْرِ رَائِعٍ. فِي الْعَالِبِ، يُرِيدُنَا يُوحَنَّا أَنْ نَتَوَقَّفَ هُنَا. دُعِينَا أَوْلَادَ اللَّهِ، "وَنَحْنُ كَذَلِكَ". وَعِنْدَ هَذَا الْحَدِّ يَكْفِي الْحَدِيثُ عَنِ ثِقَتِنَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَنْتُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ، فَتَقُولُوا. لَكِنْ لَدَيْهِ الْمَزِيدُ لِيَقُولَهُ. فَيَقُولُ: "مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ". فَمَاذَا يَقْصِدُ هُنَا؟ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعَالَمَ يَعْرِفُنَا. يَعْلَمُونَ بِوُجُودِنَا، وَيَرَوْنَ شَكْلَنَا، وَيَتَعَامَلُونَ مَعَنَا، وَيَتَوَاصَلُونَ مَعَنَا، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّنَا هُنَا، فَمَا يَقْصِدُهُ هُوَ أَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَنَا. فَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ مَا نَحْنُ حِيَالَهُ. لَا يَفْهَمُونَ كَيْفَ نَحْيَا. لَا يَعْرِفُونَ مَا نُقَدِّرُهُ، الَّذِي هُوَ مُعَايِرٌ لِمَا يُقَدِّرُونَهُ هُمْ. وَعَلَيْهِ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَنَا حَتَّى. فَكَمَا لَوْ أَنَّنَا هَبَطْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ كَوْكَبٍ مَا غَرِبَ. فَهُمْ حَتَّى لَا يَفْهَمُونَ اللَّغَةَ الَّتِي نَتَحَدَّثُ بِهَا. هَذَا مَا يُحَاوِلُ يُوحَنَّا قَوْلَهُ. وَلِمَاذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ؟ لِأَنَّ الْعَالَمَ "لَا يَعْرِفُهُ". كُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا دِيثْرِيشَ بِيْنَهُوْفَرِ فِي مُحَاضَرَةٍ سَابِقَةٍ. قَالَ بِيْنَهُوْفَرِ ذَاتَ مَرَّةٍ إِنَّ الْمَسِيحَ أَتَى إِلَى الْعَالَمِ، وَقَدْ دَفَعَهُ الْعَالَمَ بَعِيدًا، دَفَعَهُ كُلَّ الطَّرِيقِ إِلَى الصَّلِيبِ؛ رَافِضِينَ كُلَّ عِلَاقَةٍ بِهِ وَكُلَّ مَعْرِفَةٍ بِرِسَالَتِهِ وَكُلَّ ارْتِبَاطٍ بِالْإِنْجِيلِ. لِذَا الْعَالَمُ لَا يَعْرِفُنَا لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ. غَرَبَاءُ رَازِحُونَ فِي الْعَالَمِ.

ثُمَّ يَتَابِعُ يُوحَنَّا قَائِلًا: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ". لَقَدْ أَخْبَرْنَا بِهَذَا سَابِقًا. فَهُوَ يُؤَكِّدُ عَلَيْهَا بِالتَّكْرَارِ فَحَسْبُ. "الآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ". فَأَنَا أُحِبُّ هَذِهِ الْآيَةَ. أَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي بِنَا كِتَابَتَهَا عَلَى جِبَاهِنَا. سَتَمَنَحُنَا هَذِهِ الْآيَةَ صَبْرًا فِي تَعَامُلِنَا بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ: "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ". كَيْفَ لَنْ يُسَاعِدَنَا ذَلِكَ عَلَى تِلْكَ الْمُنَاعِغَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَظْهَرُ بَيْنَنَا، وَتِلْكَ الْخِلَافَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي كِنَائِسِنَا، وَتِلْكَ الْمَشَاحَنَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي عَائِلَاتِنَا. هَذَا مَا عَلَى الْآبَاءِ أَنْ يَقُولُوهُ لِأَنفُسِهِمْ كُلَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَوْلَادِهِمْ. "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَيَكُونُونَ". "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَيَكُونُونَ". يَأْتُونَ. وَيَرْتَكِبُونَ أَحْمَقَ الْأُمُورِ أَمَامَ عَيْنَيْكَ. أَتَعْلَمُونَ مَا أَوَّلُ مَا يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِكَ؟ "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَيَكُونُونَ". يَا لَهَا مِنْ آيَةٍ مُعْزِيَةٍ وَمُطْمَئِنِّةٍ. كَمَا أَنَّهَا حَقٌّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِطُولِ أُنَاتِنَا مَعَ أَنْفُسِنَا. وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَالْأَفْصَدُ بِآيَةٍ صُورَةٍ كَانَتْ أَنْ يَصِيرَ هَذَا رُخْصَةً لِلْخَطِيئَةِ سِوَاءَ لَنَا أَوْ لِلْآخَرِينَ. لَكِنَّهَا تَذَكُّرَةٌ بِأَنَّ

لَسْنَا بَعْدُ مَا سَنَكُونُ عَلَيْهِ. نَحْنُ الْآنَ أَوْلَادُ اللَّهِ، لَكِنَّا لَسْنَا بَعْدُ مَا سَنَكُونُ عَلَيْهِ. فَأَنَا مُعَلِّمُ طُلَّابٍ، عَلَيَّ أَنْ أَدْكُرَ نَفْسِي بِهَذَا. "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَيَكُونُونَ". إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْمَكُونَةَ مِنْ خَمْسِ كَلِمَاتٍ فِي يُوحَنَّا الْأُولَى مُطْمَئِنَّةٌ لِلْعَايَةِ.

ثُمَّ يَقُولُ الثَّالِي. هَذَا مَا سَنَكُونُ عَلَيْهِ: "نَكُونُ مِثْلَهُ". سَنَكُونُ مِثْلَهُ. يَقُولُ بُولْسُ فِي كُورِنْثُوسَ الثَّانِيَةِ- فِي خِصْمٍ حَدِيثِهِ عَنِ كَيْفِ صِرْنَا فِي عِلَاقَةِ مَعَ الْمَسِيحِ -إِنَّا نَتَغَيَّرُ "مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ". فَلْتَتَخَيَّلُوا، نَوْعًا مَا، هَذَا الْمُنْحَى الثَّصَاعِدِيَّ عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْمَسِيحِ -نَاطِرِينَ بِإِيمَانٍ إِلَى الْمَسِيحِ، وَنَدْعُ صُورَةَ الْمَسِيحِ، كَمَا نَرَاهَا فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، تَتَعَكَّسُ عَلَيْنَا -سَتَرَى تِلْكَ الْجَوَابِ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَى تَقْوِيمِهَا. ثُمَّ، مَاذَا نَفْعَلُ؟ نَعُودُ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِنَكْتَشِفَ جَوَابَ أُخْرَى. ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لِنَكْتَشِفَ جَوَابَ أُخْرَى. فَتَعُدُّوْا مَسِيحِيَّيْنَ نَاضِجِينَ. نَنُمُو مُمْتَشِبِينَ بِصُورَةِ الْمَسِيحِ. لَكِنِ فِي يَوْمٍ مَا، سَنَكُونُ مِثْلَهُ. إِحْدَى كَلِمَاتِي الْمُفْضَلَةِ لِجُونَاثَانَ إِدْوَارْدزُ هِيَ كَلِمَةٌ عَمِيقَةٌ لِلْعَايَةِ. وَهِيَ كَلِمَةٌ "التَّخَلُّصُ مِنَ الْأَسِدَادِ". إِنَّهَا إِحْدَى كَلِمَاتِي الْمُفْضَلَةِ. يَقُولُ إِدْوَارْدزُ: عِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى السَّمَاءِ، سَنَتَخَلَّصُ مِنْ كُلِّ أَسِدَادٍ. أَلَيْسَ هَذَا عَظِيمًا؟ فَقَدْ أَتَّخَيْلُ كَمَا لَوْ أَنَّهَا عُبُودٌ ضَخْمَةٌ مِنْ مُنْظَفٍ "دِرَانُو" يُظَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطَايَانَا. هَذَا مَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ. فَنَحْنُ الْآنَ نُعَانِي الْأَسِدَادَ.

تَتَنَاوَلُ إِقْرَارَاتِ سِنُودس "دُورْت" -الَّتِي تُعَدُّ وَثِيقَةً فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ صَدَرَتْ فِي الْعُشْرِيَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ رَدًّا عَلَى مُعَالِظَةِ جَاكُوبُوسِ أَرْمِينْيُوسِ وَبِدَايَةِ الْأَرْمِينِيَّةِ، وَتَضُمُّ رَدَّ الْكَالْفِينِيِّينَ عَلَى الرِّمُونِسْتَانْسِ الْمُعْتَرِضِينَ الْمَسْمَى بَرُودِرِيخْتِ أَوْ كَمَا نَسَمِيهِ اخْتِصَارًا "دُورْت". تَتَنَاوَلُ إِقْرَارَاتِ دُورْتِ نُقْطَةَ مُحَدُودِيَّةِ الْكِفَارَةِ، النُّقْطَةَ الْكَالْفِينِيَّةِ الْمِحُورِيَّةِ الثَّالِيَةِ مِنَ التَّسْمِيَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ TULIP، لِكِتَابِهَا فِي إِقْرَارَاتِ دُورْتِ كَانَتْ الثَّانِيَةَ لَا الثَّالِيَةَ. إِذْ إِنَّ التَّرْتِيبَ مُخْتَلِفٌ فِي إِقْرَارَاتِ سِنُودسِ دُورْتِ عَلَى شَاكِلَةِ ULTIP فَلَا تُعَدُّ كَلِمَةً مُنْطَوِقَةً وَمُسْتَسَاعَةً، لِذَا نَحْنُ نَسْتَحْدِمُ TULIP؛ لَكِنِ تَحْمِلُ هَذِهِ الْإِقْرَارَاتُ عِبَارَةً فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ. تَقُولُ: "حَتَّى أَنْصَعُ مَلَاسِنَا بِيَاضًا، مُلَطَّخَةً". حَتَّى أَعْمَالُنَا الَّتِي نَصْنَعُهَا بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَنَقُومُ بِهَا بِأَفْضَلِ مَا فِي وَسْعِنَا بِأَمَانَةٍ مُجَاهِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، حَافِظِينَهِ طَائِعِينَ -حَتَّى أَكْثَرَ مَلَاسِنَا بِيَاضًا الَّتِي نُقَدِّمُهَا كَرُمُوزٍ عَلَى امْتِنَانِنَا لِلْفِدَاءِ الَّذِي لَدَيْنَا فِي الْمَسِيحِ، كَمَا مُحَاوَلِ أَنْ نَكُونَ تَلَامِيذَ مُطِيعِينَ، "حَتَّى أَنْصَعُ مَلَاسِنَا بِيَاضًا تِلْكَ، مُلَطَّخَةً". فَلِهَذَا، مَرَّةً أُخْرَى، نَجِدُ أَنْفُسَنَا لِاجْتِيبِ إِلَى الصَّلِيبِ طَالِبِينَ الْغُفْرَانَ، حَتَّى وَنَحْنُ مَسِيحِيَّيْنَ. لَكِنِ فِي يَوْمٍ مَا، فِي السَّمَاءِ، سَتَزَالُ اللَّطَخَاتُ، وَسَنَلْبِسُ حُلًّا نَاصِعَةً الْبِيَاضِ، وَسَيَزَالُ الْأَسِدَادُ. يَوْمًا مَا، سَنَكُونُ مِثْلَهُ. هَذِهِ هِيَ رُؤْيَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَتُهُ. هَذَا هُوَ الرَّجَاءُ. هَذِهِ هِيَ الْمَسْرَّةُ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا أَوْغُسْطِينُوسُ فِي مَدِينَةِ اللَّهِ. وَحِينَمَا نَتَحَرَّرُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعُوقُنَا عَنِ الْعِبَادَةِ الطَّاهِرَةِ، سَنَكُونُ حَيْثُمَا يَكُونُ الَّذِي هُوَ رَجَاؤُنَا.

لَكِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْهِلُنِي فِي النَّصِّ هُوَ مَاذَا يَفْعَلُ هَذَا الرَّجَاءُ؟ هَذَا الرَّجَاءُ يُرْسَلُنَا، لَا يَدْعُنَا مُتَلَهِّفِينَ لِرَجَاءِ الْعَالَمِ الْآتِي. فَلَا يُرْسَلُنَا كَمَا فَعَلَ جِيروم. أَتَتَذَكَّرُونَهُ؟ يَا لَهُ مِنْ مَسْكِينٍ. لَقَدْ تَرَكَنَاهُ فِي الْمَحَاضِرَةِ الْأُولَى. وَآخِرَ مَرَّةٍ رَأَيْنَاهُ كَانَ دَاخِلَ كَهْفٍ. هَذَا لَيْسَ رَجَاءً يُدْخِلُنَا إِلَى كَهْفٍ لِمَجَرَّدِ الْإِنْتِظَارِ. بَلْ رَجَاءٌ يُعِيدُنَا إِلَى الْعَالَمِ. فَمَا يَقُولُهُ يُوحِنَا هُنَا يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ عَيْشِنَا فِي الْعَالَمِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَمْتَلِكُ هَذَا الرَّجَاءَ يُنْقِي نَفْسَهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا. دَعُونَا الْآنَ نَتَأَمَّلُ هَذَا الْبُرْهَانَ. مَا مَدَى قُوَّةِ هَذَا بِاعْتِبَارِهِ دَفَاعِيَّاتٍ ثَقَافِيَّةً فِي وَفْتِنَا الرَّاهِنِ؟ هَذَا كَانَ -بِالْعُودَةِ إِلَى الْمَحَاضِرَةِ الْأُولَى عِنْدَمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ تَعْبِيرَ "الارتباك الثقافي"، هَذَا لَمْ يَكُنْ مَفْهُومًا مِنْ صِيَاغَةِ عُلَمَاءِ الْجَمَاعَةِ الْمَسِيحِيِّينَ. هَذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ عُلَمَاءُ الْجَمَاعَةِ: "بِأَنَّنا فِي عَصْرِ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ جَاهِزٌ، عَصْرٍ يَفْتَقِرُ إِلَى مَبَادِيءِ حَاكِمَةٍ. إِنَّهُ عَصْرُ الْإِرْتِبَاكِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالثَّقَافِيِّ". مَا مَدَى قُوَّةِ هَذَا كَشَهَادَةٍ لِلْكَنِيسَةِ وَكَشَهَادَةٍ لِلْإِنْجِيلِ، لِتَحْيَا شَعْبًا ظَاهِرًا فِي هَذَا الْعَالَمِ؟

لِمَاذَا انْتَقَى يُوحَنَّا هَذَا؟ فَكُلُّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الرَّجَاءَ، يُظَهِّرُ نَفْسَهُ. لِمَاذَا، كَانَ بِاسْتِطَاعَةٍ يُوحِنَا بِبَسَاطَةِ قَوْلٍ: "كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الرَّجَاءَ، يَغْمُرُهُ الْفَرْحُ". وَالرَّذُّ الْمُفْجَمُ عَلَى هَذَا يَتِمَّتُّلُ فِي مَفْهُومِ تَبَنِّي ثَقَافَةِ الْفَرْحِ وَالتَّحَوُّلِ إِلَى شَخْصٍ يَمْلَأُهُ الْفَرْحُ. عِنْدَمَا يُرِيدُ شَخْصٌ مَا اعْتِنَاقَ الْمَسِيحِيَّةِ، فِي إِحْدَى الْجَمَاعَاتِ الْقَبَلِيَّةِ فِي أُفْرِيْقِيَا، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولَ "أُرِيدُ أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا"، يَقُولُ "أُرِيدُ الْإِنْضِمَامَ إِلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي تُرْتَمُّ". لِأَنَّهُمْ، أَيُّ الْمَسِيحِيِّينَ، الْجَمَاعَةُ الْوَحِيدَةُ مِنْ وَسَطِ هَذَا الشَّعْبِ الَّذِينَ يَقْضُونَ يَوْمَهُمْ فِي التَّرْنِيمِ. وَهَذَا بِسَبَبِ امْتِلَانِهِمْ بِالْفَرْحِ أَمَامَ الْيَأْسِ وَأَحْوَالِهِمِ الْأَلِيمَةِ. لَكِنَّ هَكَذَا ارْتَبَطَتْ هُوِيَّةُ الْمَسِيحِيِّ بِأَنَّهُ شَخْصٌ يُرْتَمُّ. أَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوحَنَّا قَوْلَ هَذَا مَبَاشَرَةً؟ "كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الرَّجَاءَ، سَعِيدٌ وَيُرْتَمُّ كَثِيرًا". لَكِنَّهُ قَالَ: "يُظَهِّرُ نَفْسَهُ". أَيْنَ نَحْنُ؟ نَحْنُ فِي رُومَا الْقَرْنِ الْأَوَّلِ حَيْثُ الْإِنْخِطَاطِ الثَّقَافِيِّ. وَنَنْظُرُ إِلَى بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي لَهَا صَدَاها فِي ثِقَافَتِنَا؛ فَلَا نَرَى عِدَاوَةً فَحَسْبُ، بَلْ نَرَى مَا يَحْدُثُ. أَتَعَلَّمُونَ، فِي عَشْرِينَاتِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ قَبْضَ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الشَّبَابِ عَلَى شَاطِئِ مَدِينَةِ أَتْلَانْتِكِ كَوْنَهُمْ عِرَاةُ الصِّدْرِ اغْتِرَاضًا عَلَى قَوَانِينِ الْحِشْمَةِ فِي الْعَشْرِينَاتِ. لَقَدْ قَطَعْنَا شَوْطًا طَوِيلًا. فَأَنَا لَا أَحَاوِلُ تَنْشِيطَ الْحِينِ إِلَى حِقْبَةِ مَاضِيَةٍ فِيهَا كَانَتْ الْعَالِبِيَّةُ، كَمَا تَعَلَّمُونَ، أَكْثَرَ حِشْمَةٍ وَعَلَيْهِ أَكْثَرَ صِلَاحًا، وَ"لَيْتَ الْأَيَّامُ تَعُودُ يَوْمًا". لَيْسَ هَذَا الْمَغْرَى. لَكِنَّ الْمَغْرَى هُوَ أَنْ مَا نَرَاهُ مِنَ الْإِنْخِطَاطِ أَخْلَاقِيٍّ بَيْنَ، لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَقِلُّ عَنِ الْإِنْخِطَاطِ رُومَا فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ. كَانَ يُوحِنَا يَعْلَمُ مَا كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِهِ حِينَ قَالَ إِنْ تَسَلَّحْنَا بِهَذَا الرَّجَاءِ سَنُظْهِرُ أَنْفُسَنَا. فَأَنْ نَعِيشَ شَعْبًا ظَاهِرًا فِي هَذَا الْعَصْرِ يُعَدُّ الدَّفَاعِيَّاتِ الْأَقْوَى.

حَسَنًا، يُحِيلُ النَّصِّ الْمَزِيدَ لِتَقُولُهُ هُنَا. إِنْ تَسَلَّحْنَا بِهَذَا الرَّجَاءِ، فَنَحْنُ لَا نَعِيشُ بِطَهَارَةٍ فَحَسْبُ، بَلْ نَعِيشُ فِي هَذَا الْعَالَمِ. قَالَ دِيثِرِدِسُ بَيْنُهَوَفَرٍ مَقُولَةً رَائِعَةً. عِنْدَمَا كَانَ مُعْتَقِلًا، سُجِنَ فِي زَنْزَانَةٍ أَضْيَقَ مِنْ خَمْسَةِ أمتارٍ مُرَبَّعَةٍ. كُلُّ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ. نَعْلَمُ جَمِيعًا مَا آلتَ إِلَيْهِ الْحَرْبُ، لَكِنَّ بَيْنَ عَائِي أَلْفٍ وَتِسْعِمَائَةٍ وَثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْفٍ وَتِسْعِمَائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ، لَمْ يَكُنْ وَاضِحًا إِلَى أَيْنَ سَيُؤَوَّلُ الْأَمْرُ. وَإِلَيْكُمْ مَا كَتَبْتُهُ، فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَتَبَ مَا يَلِي: "يَتِمَّتُّلُ

الاختلاف بين رجاء القيامة المسيحي والرجاء الأسطوري الخيالي في أن الرجاء المسيحي يعيد الإنسان إلى حياته على الأرض بحلة جديدة تمامًا. بينما الرجاء الأسطوري الخيالي، هو هروب. فهو يتعلق بالخروج. أترون ما يقوله بينهوفر؟ الرجاء المسيحي يعيدنا إلى الأرض إنما بحلة جديدة تمامًا، لتحيًا حياة جديدة كليًا.

ويتابع قائلاً: "وليس أمام المسيحي حد نهائي لتحمل المهام والصعوبات". الأرض أسفل أقدامنا تضمحل، فلماذا ننصرف عن مشاركة العالم الذي نعيش فيه حياته. فأهلُه يُعادوننا دائمًا، ولا يريدون سماع ما لدينا، فلماذا ننصرف عنهم ولا نشاركهم حياتهم -يا لها من حياة صعبة بحسب الأخلاقيات المسيحية في القرن الحادي والعشرين. إذا ترفض مشاركتهم. اعتقد أن بينهوفر محق. "وليس أمام المسيحي حد نهائي -وسأضيف أو عذرا- لتحمل المهام والصعوبات". لكن ممتثلاً بالمسيح نفسه -"إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" بترك المسيح على الصليب - وعلى غرار المسيح على الصليب، لا بد أن يتجرع من الكأس حتى آخر نقطة".

يقول بينهوفر: "لا ينبغي فقدان الأمل في العالم مبكراً". فكروا معي في هذا لدقيقة؟ لو كنتم مسجونين في زنزانية نازية أصيق من خمسة أمتار، أظن أننا كنا لتعذر بينهوفر إن قال: "أنا أحتقر هذا العالم ويأس منه"، وكنا سترد عليه: "نحن معك في هذا". هل تريدون قياسها؟ أحضروا شريطاً لاصقاً وعلّموا على الأرض متراً وثمانين سنتيمتراً في مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً. فهذه هي المساحة التي عاش فيها تحت قوة هتلر الراحة. لكنه قال في تلك اللحظة: "لا ينبغي فقدان الأمل في العالم مبكراً". اسمعوا، إن وضعنا ثقنا في الرجاء، وليس في الهروب. فالرجاء هو ما يعيدنا إلى العالم. والقصد من ذلك ألا نفقد الأمل في العالم مبكراً. لا بد أن نحيا مسيحيين مؤمنين في هذا العالم وفي هذا العصر. ولا نعظم من الماضي بإرثه ممتنين عودته. نحن نحيا الحاضر الذي خلقنا الله فيه. أتعلمون أن الكنيسة الأولى رأت الجانبين. فكنيسة ما قبل عصر قسطنطين واجهت العداة وذات الاضطهاد. أما كنيسة ما بعد عصر قسطنطين كانت عصر الرخاء. وفي أثنائهما لم يكن يسيراً أن تكون تلميذاً أميناً. في العمل الظهري البيوريتاني العظيم "جوهره القناعة النادرة" (*The Rare Jewel of Contentment*) لجيرمايا بوريوس (Jeremiah Burroughs) الذي فيه ألمح إلى قول بولس: "أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. فقد تعلمت القناعة". فالأمر ينطبق تماماً على الأحوال التي نمر بها. سواء كان مجتمعا عداًئياً أو مجتمعا مسالماً ودوداً، لا يزال أمامنا تحدي البقاء تلاميذ أمناء. ومن الممكن جداً أن نترك ذلك المجتمع المؤلف لنا والمواتي والودود. ومن الممكن جداً أيضاً أن نكون على أعتاب دخول أرض معادية. فالسؤال هنا: هل سنحيا في العالم تلاميذ أمناء، أم سنحتقره ونياس منه؟

فَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ ثِقْتُنَا فِي الرَّجَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجَاءُ الدَّافِعَ لَنَا لِنَكُونَ التَّلَامِيذَ كَمَا يُرِيدُنَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَنْ نَكُونَ. عَثَرْتُ مُؤَخَّرًا فِي نَهَايَةِ إِحْدَى عِظَاتِ مَارْتِنِ لُوتِرِ كِينِج. إِذْ كَانَ يَعِظُ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١٢ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةَ. وَعَثَرْتُ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْعِظَةَ "غَيْرُ مُتَّسِقَةٍ فِكْرِيًّا". فَقَدْ كَانَ شَدْرُخُ وَمِيَشُخُ وَعَبْدَنْغُو غَيْرَ مُنْسَجِمِينَ فِكْرِيًّا مَعَ الْعَالَمِ. وَكَذَلِكَ دَانِيَالُ لَمْ يَكُنْ مُنْسَجِمًا فِكْرِيًّا-وَأَيْضًا بُولُسُ لَمْ يَكُنْ مُنْسَجِمًا فِكْرِيًّا. وَرُبَّمَا نَكْتَشِفُ أَنَّنا نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نَكُونَ غَيْرَ مُنْسَجِمِينَ فِكْرِيًّا مَعَ الْعَالَمِ. فَيَقُولُ الْآتِي:

هَلْ سَنُؤَاصِلُ الْمَسِيرَ عَلَى قَرَعِ طُبُولِ الْاِمْتِثَالِ وَالرُّضُوحِ، أَمْ سَنَسْتَمِعُ إِلَى قَرَعِ طُبُولِ بَعِيدَةٍ؟ هَلْ سَنَعْبُرُ إِلَى حَيْثُ صَدَى الصَّوْتِ؟ هَلْ سَنَتَّبِعُ مُوسِيْقَى الْعَصْرِ، أَمْ أَنَّنَا، مُحَاطِرِينَ بِسَمَاعِ الْاِنْتِقَادِ وَالْاِسْءَاتِ، سَنَتَّبِعُ مُوسِيْقَى الْاَبْدِيَّةِ مُحَلَّصَةَ التُّفُوسِ؟ نَحْنُ الْيَوْمَ، أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، تَتَحَدَّنَا أَقْوَالُ الْمَاضِي "لَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ".

إِنَّ ضُعُوطَاتِ التَّشَبُّهِ بِالثَّقَافَةِ قَائِمَةٌ دَوْمًا. هَلْ سَنُعَايِرُ الْعَالَمَ فِكْرِيًّا وَبِتَجْدِيدِ أَذْهَانِنَا نَحْيَا حَيَاةَ إِيمَانٍ، وَحَيَاةَ لَهَا قِيَمَهَا الْمُنَاقِصَةَ لِلْعَالَمِ؛ حَيَاةَ رَاسِخَةً فِي الطَّهَارَةِ مُوَاجِهَةً لِلْاِنْحِطَاطِ الثَّقَافِي؟ فِي الْوَاقِعِ، يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ الشَّعْبَ الْمَعْرُوفَ بِالْفَرَحِ فِي وَجْهِ التَّهَكُّمِيَّةِ وَفِي وَجْهِ الْيَأْسِ. وَفِي وَجْهِ مَفْهُومِ "الْحَقُّ بِرُمَّتِهِ فِي مُتَنَاوَلِ الْيَدِ"، وَالْأَمْرُ لَا يَعْدُو مُجَرَّدَ ارْتِبَاكِ أَخْلَاقِيٍّ، فَهَلْ سَنَتَّبِعُ حَقًّا فِي الْإِيمَانِ الَّذِي لَنَا مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ؟

يَوْمًا مَا، سَنَكُونُ مِثْلَهُ. هَذَا رَجَاؤُنَا. لَكِنَّهُ لَيْسَ رَجَاءٌ نُنَحِّيهِ جَانِبًا، أَوْ يُخْرِجُ بِنَا إِلَى كَهْفٍ. بَلْ رَجَاءٌ يُخْرِجُنَا مُبَاشَرَةً إِلَى الْعَالَمِ. وَلِذَلِكَ نَتَّقُ فِيهِ. لِذَلِكَ نَتَّقُ فِي اللَّهِ، وَنَتَّقُ فِي كَلِمَتِهِ، وَنَتَّقُ فِي الْمَسِيحِ، وَنَتَّقُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَنَتَّقُ فِي الرَّجَاءِ. هَذِهِ هِيَ الرَّسَالَةُ. هَذِهِ هِيَ الرَّسَالَةُ.

أَشْكُرُكُمْ.

الدكتور ستيفن نيكيلس (@DrSteveNichols) هو مدير كلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College)، والمسؤول الأكاديمي الرئيسي في خدمات ليجونير، وعضو هيئة التدريس في خدمات ليجونير. وهو مؤلف العديد من الكتب ويُقدِّم برامج إذاعية قصيرة بعنوان "٥ دقائق في تاريخ الكنيسة" (5 Minutes in Church History) و"الكتاب المفتوح" (Open Book).